الصعوبات التي تواجه الطالب غير المسلم في أثناء تعلمه للغة العربية بالمدارس الحكومية في تشاد

علي محمد قمر

مدير المركز التربوي الإقليمي للإيسيسكو في تشاد

والمحاضر بكلية العلوم التربوية بجامعة أنجمينا

مشكلة البحث

اللغة العربية لغة تعليم في جميع المدارس الحكومية والأهلية والخاصة، يتعلمها الطالب المسلم وغير المسلم، ويظهر أن الطالب المسلم تتاح له فرصة تعلم القرآن الكريم والقراءة والكتابة في فترة تسبق التحاقه بالمدرسة الابتدائية (البيت الخلاوى القرآنية المساجد) وعندما يلتحق بالمدرسة لا يجد صعوبة في القراءة والكتابة ونطق الأصوات العربية نطقا صحيحا، بعكس زميله غير المسلم الذي لم تتح له هذه الفرصة، فيأتي إلى المدرسة ليتعلم مواد اللغة العربية لأول مرة.

ومن هنا تظهر الإشكاليات والصعوبات، وتحدد مشكلة البحث في هذا السؤال الرئيس: هل تحصيل الطالب غير المسلم في اللغة العربية ضعيف مقارنة بزميله المسلم؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فما هي الحلول؟

التساؤلات الفرعية:

1. ما مدى تحصيل الطلاب غير المسلمين في اللغة العربية؟
2. ما العلاقة بين تحصيل اللغة العربية للطلاب وديانتهم؟
3. ما التصور المقترح للأساليب التي يمكن تنميتها لتحصيل اللغة العربية للطلاب غير المسلمين؟

أهداف البحث:

1. تسليط الضوء على واقع تعليم اللغة العربية في المدارس التشادية.
2. تحديد الصعوبات التي يواجهها الطالب غير المسلم في تعلمه للغة العربية في تشاد.
3. تقديم الحلول المناسبة من خلال ما تسفر عنه نتائج الدراسة.

الترقيم الدولي الموحد للطباعة ISSN: 3009-612X
الترقيم الدولي الموحد الالكتروني E. ISSN: 3009-6146

المقدمة:

لا شك أن تعلم اللغات من الأمور التي تجد الاهتمام من الدول والمؤسسات في العالم المعاصر وتشاد كغيرها من دول العالم اهتمت بتعليم اللغات لأجيالها المتعاقبة وبخاصة اللغتين الرسميتين للدولة: العربية والفرنسية، إلا أن هناك صعوبات تواجه المتعلمين من غير المسلمين أثناء تعلمهم للغة العربية خاصة.

وقبل الخوض في هذه الصعوبات وأسبابها، يجدر بنا أن نعرف بتشاد وبماهية الطالب الجنوبي التشادي غير المسلم.

فتشاد التي تقع في وسط القارة الأفريقية تحدها ست دول أفريقية، وهي تحتل موقعا استراتيجيا يربط بين دول غرب و شمال القارة الأفريقية، ويبلغ عدد سكاتها ب 15 مليون نسمة يمثل المسلمون منهم نسبة 85 % والمسيحين 10% والوثنين نسبة 5% وتعيش في الأراضي التشادية ما يزيد عن مائة قبيلة، ويوجد بها ما يزيد عن **120** لغة، وأن اللغتين العربية و الفرنسية هما اللغتان الرسميتان للبلاد بنص الدستور التشادي، وهما أيضا لغتا التعليم في المؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية والخاصة . (2) كما يوجد بتشاد ثلاثة أنواع من المدارس هي: المدارس العربية والمدارس الفرنسية والمدارس الثنائية.

وتعد اللغة العربية احدى المواد المقررة في البرنامج الدراسي في تشاد بدءًا من المرحلة الابتدائية وحتى المرحلة الثانوية وتدرس في جميع المدارس الحكومية والأهلية والخاصة.

ويتعلمها جميع الطلاب التشاديين باختلاف مناطقهم وأعراقهم ودياناتهم.

لكن واقع حال تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية يشهد تراجعًا وقلة دافعية لتعلمها مقارنة باللغة الفرنسية، بخاصة في المدارس التي يلتحق بها الطلاب الجنوبيون غير المسلمين وتمثل تلك المدارس ما نسبته **70%** من مجموع العدد الكلي للمدارس في تشاد .

وإذا أردنا أن نعرف بالطالب الجنوبي فنقول هو ذاك الطالب الذي ينحدر من الأقاليم الجنوبية في تشاد ومن أصول زنجية وبعضهم يدين بالمسيحية و البعض الآخر يدين بالوثنية حيث يعبدون الأصنام والاشجار والأحجار ويضم الجنوب الأقاليم التالية:

1 – مايو كيبي شرق.

2 – مايو كيبي غرب.

2 – تانجلي.

4 – لوغون الغربية.

5 – لوغون الشرقية.

6 - شاري الأوسط.

وتعد الأقاليم الجنوبية هي الأكثر كثافة بالسكان، مقارنة بغيرها من الاقاليم التشادية في الشمال والشرق والوسط والغرب ، تبلغ نسبتهم ب **34%** من مجموع عدد السكان الكلي وجلهم من المسيحيين وهم يمتهنون الزراعة والرعي ،وأشهر القبائل الجنوبية هي : الإنقمباي، السارا ، الماسا الموسي ، التوبوري ، المونداق و غيرها وهي من القبائل الأفريقية الزنجية ، واللغات الجنوبية تنتمي إلى أسرة اللغات الأفروتشادية.

وبالرغم من أن الإسلام دخل في تشاد اعتبارًا من القرن السادس الميلادي لكنه لم ينتشر بصورة كبيرة في ربوع البلاد إلا في القرن الحادي عشر، وتمكن من تأسيس ثلاث ممالك إسلامية له في تشاد وهي مملكة كانم برنو ومملكة باقرمي و مملكة وداي. إلا أن الإسلام أخفق في الوصول إلى جنوب تشاد، ولم نجد له مبررا في ذلك ، وبقي الناس في الجنوب على الوثنية وعبادة الأصنام والأشجار أنذاك ، إلى أن جاء المستعمر الفرنسي بداية القرن العشرين بمعية المبشرين والمنصرين، فوجدت المسيحية الأرض خصبة دون منافس ، فأغروا الجنوبيين بالعطايا وأدخلوهم في المسيحية . وأنشأوا لهم المدارس التي تدرس الفرنسية وقدموا لهم المعونات، فاعتنقت القبائل الجنوبية الدين المسيحي وتعلموا اللغة الفرنسية مع احتفاظهم بلغاتهم المحلية.

فكل المدارس الحكومية في جنوب البلاد تدرس الآن باللغة الفرنسية ، ولم يتم تأسيس المدارس العربية في الجنوب إلا بداية السبعينيات، بعد رحيل مجموعة من المواطنين الشماليين نحو الجنوب من أجل التجارة والارتزاق حينها بدأت المدارس العربية الإسلامية في الظهور والانتشار حفاظا على الهوية الإسلامية ، وبلغ عددها الان ب **33** مدرسة عربية، وعلى الرغم من معاناتها الشديدة وما تواجهه من تحديات بعدم توفر الأثاث المدرسي والأدوات المدرسية ونقص في عدد المعلمين المؤهلين ،

إلا أن تلكم المدارس واصلت نشاطها التعليمي باستمرار دون انقطاع فخرجت الأجيال وأسهمت في تطوير النظام التربوي التشادي.

ونشير إلى أن منظمة العون المباشر بدولة الكويت قامت بتأسيس عدد من المدارس العربية في المدن الجنوبية مثل: بنقور ومندو وسار وكمرا كان لها الدور الكبير في نشر التعليم العربي في الجنوب ، كما تكرمت بعثة الأزهر الشريف بتأسيس مدرسة لها في مدينة سار عام 1993 وشملت المراحل الثلاثة (الابتدائية والإعدادية والثانوية) وهي تدرس المنهج الأزهري ويقوم بالتدريس فيها المعلمون المصريون من الأزهر الشريف ، و يجلس الدارسون في نهاية دراستهم لامتحانات الشهادة الثانوية الأزهرية ,وقد تحصل العديد منهم على الشهادة الثانوية الأزهرية وواصلوا دراساتهم الجامعية داخل تشاد وخارجها .

و على الرغم من أن اللغة العربية لغة إجبارية في المنهج الدراسي بالمدارس الحكومية مثلها مثل اللغة الفرنسية، إلا أن الطالب الجنوبي لا يقبل على تعلمها واكتسابها برغبة، بل لوحظ نفوره من تعلمها وحتى الذي يتعلمها يجد في تعلمه لها ضعفًا مقارنة مع زميله الشمالي المسلم الذي يتعلمها معه داخل الفصل الدراسي، إذن إن هناك عوامل أدت إلى هذه النتيجة ،وقد قام الباحث بمقابلة عدد من الطلاب الجنوبيين في المدارس الحكومية حول هذا الموضوع وتوصل معهم إلى بعض الحقائق :

فقبل الإشارة إلى هذه العوامل نشير إلى نقطة مهمة وهي إذا كان هناك إخفاق في تعلم اللغة العربية لدي الطالب الجنوبي غير المسلم فى المقابل هناك إقبال على تعلم اللغة العربية لدى كبار السن من الجنوبيين غير المسلمين الذين يعملون في الإدارة التشادية.

فقد تبنى مركز الأيسيسكو التربوي في تشاد الذي أنشئ عام (1996) عبر اتفاقية تعاون في التربية أبرمت بين الحكومة التشادية ومنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة – أيسيسكو – برنامجا طموحا لتعليم اللغة العربية للقيادات الإدارية في تشاد ، تلبية لرغبة الكثيرين من الإداريين التشاديين على تعلم اللغة العربية وهو يهدف إلى تمكين القيادات الإدارية من إجادة اللغة العربية واكتساب المهارات الأساسية فيها من استماع وحديث وقراءة وكتابة ليساعدهم ذلك في التعامل باللغة العربية.

ويعتبر برنامج الأيسيسكو (تعليم اللغة العربية للقيادات الإدارية في تشاد) هو البرنامج الوحيد الذي استهدف القيادات الإدارية، وينتمي المتقدمون فيه إلى مختلف مؤسسات الدولة من رئاسة الجمهورية إلى رئاسة الوزراء والوزارات المختلفة من الصحة العامة والتربية الوطنية والخارجية والداخلية والدفاع وغيرها ، وكان جل المستفيدين منه هم من الجنوبيين المسيحيين.

وقد ألف المركز كتابا خاصا بهذا البرنامج سمي بكتاب اللغة العربية للقيادات الإدارية في تشاد وركز الكتاب على استخدام لغة التعامل اليومي، وأتاح الفرصة أمام الدارسين باستعمال اللغة العربية استعمالا يفيدهم في حياتهم اليومية لتحقيق التواصل اللغوي مع الناطقين بالعربية.

يحتوي البرنامج على (160) ساعة تنفذ في (40) أسبوعا بمعدل 4 ساعات في يومين من الأسبوع.

كما تم اختيار المحاضرين بالبرنامج من ذوي الخبرة والكفاءة في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من خريجي معهد الخرطوم الدولي للغة العربية بالسودان.

وقد حقق الدارسون تحسنا ملموسا في اكتساب المهارات اللغوية الأربع وهي الاستماع والحديث والقراءة ثم الكتابة، وقد ازداد أعداد الخريجين منذ انطلاق البرنامج منذ عام (2000 – 2022) .

1 - العوامل الدينية:

توجد علاقة بين تعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية في نظر الكثير من الشعوب الإسلامي حيث سادت هذه النظرة التقليدية في تعليم اللغة العربية قديما ومازالت منتشرة، فالدرس اللغوي قد يطعم ببعض بالمفاهيم الإسلامية سواء كانت آيات قرآنية أم أحاديث نبوية، أو أن يتم توظيف نص في العلوم الشرعية لدراسة اللغة العربية، فهذا الاتجاه له من المؤيدين كما أن له من المعارضين.

وباستقرائنا لواقع نظامنا التربوي في تشاد نلاحظ وجود أعداد كبيرة من معلمي اللغة العربية في المدارس الحكومية خلطوا تعليم اللغة العربية بالعلوم الإسلامية وقد ترتب على ذلك تبلور نظرة سالبة لدى الطالب الجنوبي غير المسلم تجاه اللغة العربية ، حيث اعتبر أن تعلم اللغة العربية يعني بداية لمشوار

مرتقب لاعتناق الدين الإسلامي والتخلي عن المسيحية دين آبائه وأجداده ، فهذه العقيدة ترسخت في ذهن الطالب الجنوبي وانتقلت إلى الكثير منهم وبذلك أصبحوا ينظرون إلى اللغة العربية على أنها لغة دين وتعبد فقط ، وأن التقرب إليها هو التقرب إلى الدين الإسلامي .

وهذه النظرة السالبة ما زالت عالقة لدى العديد منهم مما دفعهم إلى عدم الاكتراث على تعلمها والإقبال عليها.

2 – العوامل التربوية:

تنقسم العوامل التربوية إلى عوامل أدائية وعوامل منهجية:

أ - العوامل الأدائية:

ترتبط العوامل الأدائية بالسلوكيات والممارسات التي ينفذها المعلم داخل الفصل الدراسي من أجل أداء رسالته التعلمية.

وقد سبق وأن أشرنا إلى أن قدامى معلمي اللغة العربية لم ينخرطوا في الكليات التربوية أو في معاهد إعداد المعلمين لذلك جاء أداؤهم التدريسي ضعيفا داخل الفصول الدراسية حيث إن أغلبهم لا علم له ببرامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وعلم اللغة التطبيقي وعليه فلا نتوقع منهم معالجة عناصر اللغة العربية من الأصوات والمفردات والتراكيب ومهارات اللغة العربية الأربع وهي : (الاستماع والحديث والقراءة والكتابة) على أسس علمية سليمة ، ووجدنا أغلبهم يستخدم طرقا تقليدية في تعليم اللغة العربية مثل : الطريقة الإلقائية بأنواعها المختلفة وطريقة القواعد والترجمة غيرها من الطرق ، كما أن السواد الأعظم منهم لا يستخدم الوسائل التعليمية الحديثة وتكنلوجيا التعليم في التدريس ، وإنما يستخدم الوسائل التعلمية التقليدية القديمة مثل : السبورات الطباشيرية و الخرائط والملصقات وغيرها ، أضف إلى ذلك ضعف معرفتهم بسيكولوجية الطفولة والإرشاد النفسي للطلاب والطالبات .

فهذه العوامل جعلت معلم اللغة العربية ضعيفا في نظر الطالب الجنوبي وتخيلاته والأدهى في الأمر أن الطالب الجنوبي يقوم بمقارنة معلم اللغة العربية بمعلم اللغة الفرنسية الذي أتيحت له فرصة التأهيل التربوي والنفسي والإلمام بالاتجاهات التربوية الحديثة في التعليم.

فلا شك أن هذا الوضع غير المتكافئ بين اللغتين دفع الطالب الجنوبي للاعتقاد بأن اللغة العربية لا ترقي إلى مقام اللغة الفرنسية وسرعان ما يفكر بالتخلي عن تعلمها ودراستها.

ب – الأسباب المنهجية:

إن تدريس اللغة العربية إجباري ومجاني لجميع الطلاب التشاديين في مختلف المدارس الحكومية والأهلية والخاصة وهو حق كفله القانون والنظام التربوي التشادي ، لكننا نلاحظ أن تعليم اللغة العربية لدى المسلمين يبدأ في البيت حينما يبلغ الطفل الخامسة من عمره حيث يلتحق بالخلاوي القرآنية ليتعلم فيها القرآن الكريم ، و بعد ان يصل إلى معرفة قراءة الحزب الثلاثون من القرآن الكريم يبدأ في تعلم الحروف الهجائية ثم الحركات والكلمات والجمل ويبدأ بكتابة السور القصيرة من القرآن الكريم ، وعندما يصل إلى مرحلة قراءة نصف القرآن الكريم يستقل بكتابة النص القرآني بنفسه ، ويعرض ما كتبه على الشيخ للتصحيح والتلاوة والكتابة ، ويستمر على هذا المنوال إلى أن يختم القرآن الكريم كله ، ومتى التحق هذا الطالب بالتعليم النظامي في المدارس العربية أو الفرنسية فلا يجد صعوبة في نطق الأصوات العربية والقراءة والكتابة .

وبالمقابل نجد الطالب الجنوبي الذي لا يتعلم مبادئ مهارات اللغة العربية في البيت (القراءة والكتابة) كحال زميله المسلم بل يتعرف عليها في المدرسة لاشك أنه يجد صعوبة في تعلمها ، خصوصا أن المعلمين في تلكم المدارس لا معرفة لهم ببرامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ، ويجد الطالب الجنوبي نفسه في الفصل الدراسي ضعيفا مقارنة مع زميله المسلم ، إذن فالوضع داخل الفصل غير متوازي وعادل، مما دفع الكثير من الطلاب الجنوبيين النفور من تعلم العربية ، وبذلك يصعب تطبيق الثنائية اللغوية على أرض الواقع والتي تعد عنصرًا مهما في السياسة التعليمة التي تؤمن بها الدولة التشادية.

3 – العوامل الاقتصادية:

تعد تشاد إحدى مستعمرات فرنسا ، وتولي فرنسا أهمية خاصة لتشاد اعتبارا لموقعها الجغرافي الاستراتيجي وسط القارة السمراء ولثرواتها المتعددة حيث إن هذين العاملين يتيحان لها لعب أدوار سياسية واقتصادية عسكرية مهمة في المنطقة فتم تركيز فرنسا على تشاد بصورة كبيرة قديما وحديثا ، و على

الرغم من أن اللغة العربية لغة رسمية في تشاد بجانب اللغة الفرنسية إلا أن ذلك كان حبرا على ورق فالإدارة التشادية تعمل باللغة الفرنسية فقط ، رغم مطالبة المساواة بهذا الشأن الذي تقوم به بعض منظمات المجتمع المدني مثل الاتحاد العام لدعم مؤسسات اللغة العربية في تشاد ، والتجمع الشعبي للدفاع عن اللغة العربية والمنسقية الوطنية لدعم الثنائية اللغوية وبعض الأحزاب السياسية . فما زالت تلك المطالبات لم تجد الاستجابة، كما أن الشركات والمنظمات المحلية والإقليمية والدولية العاملة في البلاد تعمل باللغة الفرنسية فقط في أغلب الأحيان.

وعليه فإن دراسة الطالب للغة العربية لا تساعده على إيجاد الوظيفة في القطاعين العام والخاص، ومن هنا بدأ التشاؤم والإعراض عن تعلم اللغة العربية.

نتائج البحث:

1. وجود خلط في فهم اللغة العربية وعلاقتها بالدين الإسلامي.
2. إن أغلب معلمي اللغة بالمدارس الحكومية يفتقدون التأهيل العلمي في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
3. وجود فجوة في مستويات التلاميذ الشماليين والجنوبيين في مادة اللغة العربية بالمدارس الحكومية في تشاد.
4. تعمل الإدارة التشادية باللغة الفرنسية فقط، على الرغم من أن اللغة العربية لغة رسمية في البلاد بجانب اللغة الفرنسية بنص الدستور التشادي.

التوصيات:

1. العمل على توعية المواطنين بأهمية اللغة العربية ودورها الحضاري والعلمي والثقافي وأن دورها لم ينحصر في الإطار الديني فقط.
2. العمل على إعداد كتب دراسية للغة العربية مجردة من الدين.
3. عقد دورات تدريبية متخصصة لمعلمي اللغة بهدف رفع كفاءتهم الأكاديمية والتربوية.
4. عقد دورات تدريبية متخصصة لمعلمي اللغة العربية بهدف تعريفهم ببرامج تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة.

5. إعداد مناهج لتعليم اللغة العربية لمناطق التداخل اللغوي تشمل فقط أقاليم الجنوب المختلفة.
6. تبني سياسة تطبيق الثنائية اللغوية في الإدارة بحيث يتم التعامل مع اللغة العربية مثل اللغة الفرنسية في القطاعين العام والخاص.

المراجع

عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984 م .

علي محمد قمر، التعددية اللغوية في تشاد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988

التقرير الدوري عن أداء المركز التربوي الإقليمي للإيسيسكو في تشاد لعام 2021.

1) Pasec 2014. Performance du système éducatif Ministère،Tchadienne compétence et facteur de réussite du primaire .Education Nationale،de l